الفصل الأول

فهارس المكتبات عند المسلمين من نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) حتى نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)

0/1- تمهيد.

1/1- جذور مصطلح الفهرس.

2/1- صيغ مصطلح الفهرس ودلالاتها.

3/1- بين الفهرس والثبت والفينكس.

4/1- الملامح الببليوجرافية لفهارس المكتبات عند المسلمين من نهاية القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري

obeikandl.com

0/1- تمهيـــــــد

العلمُ في أية أمةٍ جبلٌ جليديٌ ثابتٌ وباقٍ بثبات الأمن، والاستقرار، والوفرة الاقتصادية، مُتغير زائل إذا اهتزت تلك العناصر، ولما ملكت الأمة العربية الإسلامية تلك المعادلة أمطرت سماؤها علماً ومعرفةً، وإن كانت غيومها بادئ ذي بدء تشكلت من مسطحات مائية متعددة الأرومة لم يكن للعربية فيها موطئ قدم، لكن سرعان ما تشربت تربتها تلك المياه وفجرتها عيون علم تحمل صبغتها وبصمتها ([1])؛ فنشأ عن ذلك فيضٌ بأوعية المعرفة استقر في النهاية في صروح حضارية ضاقت بمجموعاتها.

وكما كانت المكتبات صنيعة الكتب ووفرة تواجدها؛ فإن الفهارس- كأدوات بحث مساعدة والجسر الواصل بين الباحث والمقتنيات - صنيعة المكتبات؛ فحيث تصبح الذاكرة الشخصية عاجزة عن الحصر يبرز دورها؛ لذا ولدت الفهارس من رحم المكتبات العظيمة كضرورة فرضها حجم المجموعات.

وإذا كانت حقيقة المكتبات السومرية مازالت ضبابية الملامح تبعاً لفقر المادة العلمية حولها فإن قسماً كبيراً من تلك الحقيقة سطَّرها رُقمٌ طينيٌ يعود إلى حوالي سنة (2000 ق.م) وهو فهرس لإحدى المكتبات نقش عليه اثنان وستون عنواناً في فنون مختلفة، **والكتب الثلاثة عشرة الأخيرة في موضوع الحكمة**. كما عُثر في مكتبة [نيبور] على رُقمٍ طيني هو الآخر فهرس المكتبة وفيه سبعة وثمانون عنواناً. هذان الفهرسان يشيان بألوان طيف النشاط الأدبي لتلك الحقبة، وأعطيا معلومات غاية في الأهمية مثل " أن الرقم الطينية في مكتبات ذلك الوقت كانت تتوزع على مجموعات متنوعة حسب الموضوعات المختلفة... وهذا دليل على وجود نظام للتصنيف البدائي في المكتبات السومرية"([2]).

1- يقرر ابن خلدون هذه الحقيقة باعتبار حال " بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين ولما تناقص عمرانها وابذعر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة، وفقد العلم بها والتعليم وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام " ابن خلدون . تاريخ ابن خلدون : ج1 : ص 434.

2- ستيبتشفيتش، الكسندر : تاريخ الكتاب : ج 1 : 14– 15.

obeikandi.com

وبالانتقال إلى مكتبة آشوربانيبال (668- 626 ق . م) نجد أن ألواح هذه المكتبة كانت مُنظمة ذات **فهارس مُنسقة**، مما يبوح برقي القوم وريادتهم الحضارية. وهناك ملاحظة جد هامة هي أن ختم المكتبة [1]، والتواقيع التي على ألواحها، و**فهارسها**، واسم صاحبها كان مما تفردت به تلك المكتبة دون باقي الخزائن الأخرى المكتشفة في نينوى سواء كانت حكومية أو خزائن معابد [2].

ومما سبق يمكن ملاحظة الآتي :

1- أن الفهارس كأدوات بحث مكتبية كانت معروفة ومستخدمة في حضارات مابين النهرين قبل الميلاد.
2- أن المكتشفات الأثرية لم تفصح عن **اسم** هذه الأداة عند تلك الحضارات؛ والذي جرى أن الباحثين أعطوها لقب الفهرس لأن هذا الاسم يعيش بين ظهرانينا، فهل من المعقول أن هذه الأداة عاشت ردحاً من الزمن مكتومة الهوية ووظيفتها العملية ملموسة ؟ الراجح أنها كانت تتمتع بإسم يدعونها به ولكن لم يصل خبره.
3- أن تلك الفهارس كانت مرتبة ترتيباً موضوعياً، ولكن لا توجد معلومات عن طريقة الترتيب تحت المواضيع.

وقد أثبت الكسندر ستيبتشفيتش أن المكتبات اليونانية أخذت وطبقت كل إنجازات العمل المكتبي في بلاد الرافدين، وذلك من خلال مقارنة تنظيم مكتبة آشوربانيبال مع تنظيم مكتبة الإسكندرية [3]. وما يهم من أمر هذه الأخيرة هو الفهرس الذي وضعه لها كاليماخوس (305-240 ق.م) بإسم " Pinakes " أي القوائم سنة (250 ق.م) والذي يرى فيه بلوم Blum تحقق عدة خصائص في وقت واحد، ولو بشكل تقريبي أحياناً، وهي:

1- " كان لكل رُقم ما يشير إلى مضمونه وإلى ناسخه وما شابه ذلك، وفي نهاية كل رقم نص منقوش بواسطة قالب أو خاتم: رُقْم رَقَم ... في صف ... قصر آشوربانيبال، ملك العالم، ملك بلاد الآشوريين". انظر ستيبتشفيتش، الكسندر : تاريخ الكتاب : ج 1 : 26.

2- Unger, Eckhard. Reallexikon der Assuriologie (Bd.11,pp24-25 Art "Bibliothek") نقلا عن كوركيس عواد . الذخائر الشرقية : ج 6 : 26، وانظر كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق : 54.

3- ستيبتشفيتش، الكسندر: المرجع السابق : ج1: 63. وانظر أيضاً Plumbe, Wilferd J. Africa: Library and information science.- ed. By A. Kent and H. Lancour .- New York, Marcel Dekker, 1968-1983.- Vol 1, p.120 نقلا عن كمال عرفات نبهان. البينكس والفينكس: دراسة في الجذور اليونانية للمصطلح ودوره في البليوجرافيا العربية. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 20، ع 3 (يوليو 2000) ص 15.

1 – الفهرس (لارتباط القوائم بمحتويات المكتبة بشكل كبير)

2 – دليل لتاريخ الأدب اليوناني.

3 – الببليوجرافية المصنفة الشارحة (لأنها كانت مرتبة حسب الموضوعات، ثم بالمؤلفين هجائياً داخل كل موضوع)

4 – السيرة البيوجرافية للمؤلفين اليونان، لأنه كان يذكر ترجمات للمؤلفين الحقيقيين أو المرجحين.

5 – المعجم الببليوجرافي القومي للمؤلفين اليونان، لأنه كان يذكر كل النسخ الموجودة من المؤلفات اليونانية [1].

وهكذا يتبين أن هذا العمل تجاوز حدود الفهرس المتعلق بالإنتاج الفكري في مكتبة بعينها، ليدخل فضاءات أرحب للببليوجرافية القومية، ومعجم التراجم القومي، لكن لابد من الوقوف بإعجاب أمام الترتيب الموضوعي، والترتيب الهجائي تحت الموضوع، والبيانات الببليوجرافية عن كل مفردة، والدال على حس ببليوجرافي ناضج جداً، خاصة أنه أول من طرق بوابة إعطاء ترجمات للمؤلفين، الأمر الذي سيؤخذ بعين الاعتبار في القرون اللاحقة [2] السُّنَة المتبعة في فهارس المخطوطات العربية اليوم. والملاحظة الأبرز بخصوص هذا الفهرس هو اتخاذه **اسماً** سيصبح علماً على كل الأعمال التالية له فقد قام النحوي [كراتس] مدير مكتبة برجام بوضع فهرس للمكتبة على غرار پينكس كاليماخوس وذلك في القرن الثاني قبل الميلاد [3].

أما العرب فلم تقم لهم قائمة في رحاب العلم قبل ظهور الإسلام، وقبل عزمهم على نشر هذا الدين وفتحهم لبلاد الشام، وفارس، ومصر، ودخول عناصر جديدة تحت لواء الإسلام من قوميات وثقافات مختلفة؛ وهذا التلاقح الفكري أنتج ما يُسمى (الحضارة العربية الإسلامية). وأكثر ما تـلمس إرهاصات هذه الحضارة في العصر الأموي الذي ظهرت فيه مكتبات خجولة النشأة قليلة، شحيحة كمياه الصحراء، مثل المكتبة التي وجدت

---

1 - Blum, Rudolf. Kallimachos. P. 227,244,245 وانظر أيضا ستيبتشفيتش، الكسندر: تاريخ الكتاب: ج1: 120، 127.

2 - ستيبتشفيتش، الكسندر. المرجع السابق: ج1: 128.

3- المرجع السابق: ج1: 120، 130.

obeikandi.com

عند [كُريب] [1] من كتب ابن عباس (ت 68هـ/687م) والتي كانت حمل بعير[2] ومكتبة ابن شهاب الزهري (ت 124هـ/742م) [3] الذي إذا جلس في بيته أحضر كتبه، وانكب عليها دون سائر أمور الدنيا، مما أثار حفيظة زوجته لتقول له: إن هذه الكتب أشد عليها من ثلاث ضرائر[4] ومكتبة أبي عمرو بن العلاء (70 – 154 هـ/689 – 771م) عالم القراءات والعربية والشعر وأيام العرب؛ وقد ملأت دفاتره بيتاً حتى السقف [5].

على أن المكتبات الأبرز في هذا العصر هي المكتبات الخلافية في قصور بني أمية بدمشق المبتدئة بـ [بيت الحكمة] لمعاوية بن أبي سفيان (ت 61 هـ/ 681 م) [6] الذي ضمَّ بين جنباته كتاب [عبيد بن شرية الجرهمي] [7] حول أخبار ملوك العرب والعجم وسبب اختلاف الألسن، وأمر افتراق الناس في البلاد [8] وكان جلّ اهتمام معاوية علم التاريخ، خاصة سير الملوك وسياساتهم وآثارهم، والحروب، والمكائد؛ فيحضر دفاتر هذه المواضيع ليقرأها عليه أشخاص مجندون لهذه المهمة [9]، ثم ورث هذه المكتبة مع القصر حفيده خالد بن يزيد بن معاوية[10] (ت 90 هـ/709م) أعلم قريش بفنون العلم خاصة الطب والكيمياء [11]، وهو أول من أمر بنقل العلوم من لغة إلى لغة في الإسلام [12] فتكونت لديه

1- كريب ابن أبي مسلم الإمام الحجة أبو رشدين توفي سنة 98هـ/716م. الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج4 : 479.

2- الذهبي : المرجع السابق : ج4: 480، وانظر ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج5 : 293.

3- الزهري : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب. انظر ابن قتيبة: المعارف : 472، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج 4 : 177.

4- ابن خلكان : المرجع السابق : ج 4 : 177 – 178.

5- الذهبي : المرجع السابق : ج 6: 408، ابن خلكان : المرجع السابق : ج 3 : 466، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب : ج1: 237.

6- وردت هذه التسمية لمكتبة معاوية بن أبي سفيان في نص للإمام الدارمي حيث قال " وادعى المعارض أيضا أنه سمع أبا الصلت يذكر أنه كان لمعاوية بن أبي سفيان بيت يسمى بيت الحكمة. فكلما وجد حديثا ألقاه فيه ثم رويت بعد ". الدارمي : رد الإمام الدارمي : 135.

7- عبيد بن شرية الجرهمى : أدرك النبي عليه السلام، ولم يسمع منه شيئا، ووفد على معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان [وتوفي بدمشق في شوال سنة 85هـ/ 704م]. وله من الكتب، كتاب الأمثال. كتاب الملوك وأخبار الماضين. النديم : الفهرست : ص 102.

8- النديم : الفهرست : ص 102، المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج 2: 345،311- 346

9- المسعودي: المرجع السابق : ج 3 : 24.

10- والدليل ما كان عنده من أخبار الأوائل وأقوالهم. انظر ابن كثير: البداية والنهاية: ج 9: 197وانظر أيضاً Mackensen, Ruth Stellhorn · - Arabic Books and Libraries in Umayyad Period · - The American Journal of Semitic Languages and Literatures · - Vol.54, No.1/ 4 (Oct, 1937) · - pp 53 – 54

11- الذهبي : المرجع السابق : ج 9: 411، ابن كثير : البداية والنهاية : ج9: 60.

12- النديم: الفهرست: 303، 419.

مكتبة غنية بموضوعاتها شملت كتب الطب والنجوم والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات [1].

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك (ت 96هـ /715م) يجود النص التراثي بذكر معلومات أكثر تفصيلاً عن المكتبة الخلافية الأموية إذ كان لها خازن هو سعد المصاحفي، وقد عَيَّن فيها ناسخاً هو خالد بن أبي الهيَّاج؛ فقد جاء في فهرست النديم أن " أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط، خالد بن أبى الهياج. رأيت مصحفاً بخطه، وكان سعد خصه بكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك " [2]. فهذا النص يظهر سعداً مُكلفاً بالإشراف على مكتبة الوليد. ولكن ما لم تبح به النصوص هو كيفية عمل هذا الخازن ومنهجيته.

وفي أيام عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ/720م) كانت المكتبة الخلافية تحت تصرفه فأخرج منها للمسلمين كتاب {أهرن بن أعين القس} ترجمة ماسرجويه الطبيب [3]. وفي عهد هشام بن عبد الملك (ت 125هـ/743م) استمرت عملية الترجمة؛ فنقل له سالم كاتبه {رسائل أرسطاليس إلى الاسكندر} [4]. كما نُقل له كتاب قيم عن علوم الفرس وتاريخ ملوكهم (سنة 113هـ/ 731م) [5]. وقبل أن تغرب شمس هذا العصر تُلمح أخر خيوط أخبار المكتبة الأموية مع نهاية الوليد بن يزيد (ت 126هـ/744م) إذ حُملت الدفاتر من خزائنه على ظهور الدواب، وجلها في الحديث من علم الزهري [6]، ويصمت النص عند هذا الحد دون تجاوزه إلى مكان النقل الأخير وأسبابه.

وهكذا يُلاحظ أن المكتبات الخلافية عَرفتْ بالدليل النقلي - في فترة من الفترات- الخازن، والناسخ، وأن هذه المكتبات كانت تحت تصرف الخليفة بدليل ما فعله عمر بن عبد العزيز، وما حُمل من كتب الحديث من خزائن الوليد بن يزيد والملقب بخليع بني

1- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ج 4 : 653.
2- النديم : الفهرست : 9.
3- ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء : 61.
4- النديم : الفهرست : 131.
5- المسعودي : التنبيه والإشراف : 119.
وانظر أيضا Mackensen, Ruth Stellhorn · - Supplementary Notes to "Arabic Books and Libraries in Umayyad Period · - The American Journal of Semitic Languages and Literatures · - Vol.56, No. 2 (Apr, 1939) · - p. 156.
6- الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج5 : 334، ابن كثير : البداية والنهاية : ج9 : 344.

obeikandl.com

مـروان [1]. أي أن هـذه المكتبـات امتـد بهـا العمـر قرابـة واحـد وتسـعين عامـاً (41-132هـ/661-750م) زودت خلالهـا عـن طريـق التـأليف والترجمـة بكتـب فـي التـاريخ، والشـعر، والطـب، والكيميـاء، والنجـوم، والحـديث؛ وبالتـالي فإنهـا بلغـت حجمـاً يسـتوجب وجود طريقة تنظيم معينة، وآليات مساعدة للعمل فيها، لكن للأسف هذا ما لم يصل إلينا؛ لتبقَى قصة المكتبة الخلافية الأموية بدمشق مبتورة النهاية.

وببلـوغ النصـف الثـاني مـن القـرن الثـاني الهجـري وبدايـة القـرن التـالي تأخـذ الأمـة الإسـلامية بنواصـي العلـم؛ لأن العلـم تـابع لنسـبة الحضـارة والعمـران؛ فمتـى تجـاوز أهـل العمران أمور معاشهم طلبوا ثمار العقول على حدّ تعبير ابن خلدون " فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهى العلوم والصنائع " [2]. وقد اكتمل هذا كله في بغداد فترقَّت صناعة الخط والكتابة فيها [3] كما أصبحت مركزاً لصناعة الكتاب والاتجار به، خاصة بعد صنع الورق في عصر الرشيد (170-193هـ/786-809م) ، وما نتج عنه من صناعة عُرفت بالوراقة [4]. ومما ساعد في ازدهار حركة التأليف والترجمة تشجيع الخلفاء العباسيين لها، ومن خلفهم وزراؤهم كما يقول حاجي خليفة " إن أعظم الأسباب في رواج العلم وكساده هو رغبة الملوك في كل عصر، وعدم رغبتهم" [5].

وكنتيجة لتضافر هذه العوامل الثقافية - من علماء ومفكرين، وعناصر مادية كالورق ومستلزمات النساخة، ووجود فكر قابل للتدوين سواء بطريق التأليف أو الترجمة - نفق سوق العلم، وانتسخت الكتب ومُلئت بها خزائن القصور، وظهر [بيت الحكمة] العباسي كأعظم مكتبة في تاريخ الإسلام، ومع هذه الخزانة يفد أول نص عربي عن فهرست المكتبة[6]، وذلك خلال حكم المأمون (193-218 هـ/808 -832 م). فما هي جذور مصطلح الفهرست، وماهي ظروف انتقاله للعربية، وماهي دلالاته؟

1- المسعودي: مروج الذهب: ج3: 155.
2- تاريخ ابن خلدون : ج1 : 434، وانظر حاجي خليفة : كشف الظنون : ج1 : 69.
3- ابن خلدون : المرجع السابق : ج1 : 420.
4- المرجع السابق : ج1 : 421، القلقشندي: صبح الأعشى : ج2: 515.
5- كشف الظنون : ج1 : 62 ، وللاستزادة والتفصيل حول هذه النقطة راجع سعيد الجوماني : مكتبات بلاد الشام : 5 – 10.
6- عُرض على المأمون كتاب { جاويذان خرد }؛ فأراد التأكد من أن هذا الكتاب في خزانته؛ فدعا **بفهرست كتبه**، وراح يقلبه فلم يجد له أثراً. انظر: أوشهنج . كتاب جاويذان خرد / نقله إلى العربية الحسن بن سهل، وتممه أبو علي أحمد بن محمد بن محمد مسكويه **في** محمد كرد علي : رسائل البلغاء: 480.

1/1- جذور مصطلح الفهرس :

هناك روايتان حول أصل هذا المصطلح: الأولى تقول إن أساسه يوناني ومعناه فيها مُقسِّم الماء [1]، وهذه الرواية ضعيفة لأن المصطلح عند اليونانيين كان (البينكس) كما مرَّ آنفاً، والثانية وهي الأوسع انتشاراً تقول إن أساسه فارسي، وفارسيتها بكسر الفاء وسكون الهاء وكسر الراء المهملة تليها سين ساكنة ثم مثناة فوقية ساكنة " [2] وهذا من أوزان الاسم الرباعي العجمي[3]، و الجمهور الأوسع من اللغويين يُقر بأنه مُعرب فهرست الفارسية [4]. والقول بأن مصطلح (الفِهْرِس) مُعرب (الفِهْرِسْت) يدحض مقولة أن المصطلح عُرب مرتين، مرة من بهرست إلى فهرست ومرة من فهرست إلى فهرس [5]. إذ لو كانت اللفظة المنتشرة عند الفرس هي البهرست عند تأثر العرب بهم واحتياجهم لها لتم التعريب فوراً من بهرست إلى فهرس خاصة ولديهم كل الوسائل اللازمة لذلك، فقد جرت العادة إذا ما عربوا كلمة أجنبية فيها حرف ليس من لغتهم أن يحوَّلوه عند التكلم إلى أقرب الحروف من مخارجها مثل الحرف الذي بين الباء والفاء " مثل پور إذا اضطروا قالوا

1- النهالي ، محمد بن يوسف . الطراز المذهب في الدخيل المعرب **في** رسالتان في المعرب لابن كمال والمنشي : ص 64. وعندما سرد حاجي خليفة آراء العلماء في شرحهم للفظ الفهرس قال " وفي **ديوان الأدب** مقسم الماء على وزن فعلل **يونانية؛** فعربوه واستعملوه في مجمع الأبواب. والتاء فيه غلط فاحش". انظر حاجي خليفة : كشف الظنون : ج 2 : 1303. لكنني بحثت في كشاف كتاب (ديوان الأدب) فلم أجد مادة فهرس ولا المصطلح الفهرس. انظر الفارابي : ديوان الأدب : ج 4 ، ق 2- ص ص 363 -383.

2- الخفاجي : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل : 174. وانظر ابن مكي . تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : 28.

3- " ومتى شبه بزِبْرِج فمراده كسر الأول والثالث وسكون الثاني، وكذلك إذا أطلق الكسر لأنه إذا كسر الأول امتنع ضم الثالث لأنه وزن مهمل، وامتنع فتحه إلا في دِرْهَم وألفاظ محصورة كما يأتي إن شاء الله؛ فوجب إذا أطلق الكسر أن يُحمل على كسر الأول والثالث كقوله الجِهْبِذ بالكسر وقوله الزِبْرِج بالكسر وبهذا تعلم أن الفِهْرِسة مكسورة الأول والثالث ". السجلماسي : إضاءة الأدموس ورياضة النفوس في اصطلاح صاحب القاموس : (9 / أ).

4- الفيروز آبادي : القاموس المحيط : ج2 : 238، الزبيدي : تاج العروس : ج 16 : 349. المنشي ، محمد بن بدر الدين . رسالة في التعريب **في** رسالتان في المعرب لابن كمال والمنشي : 183. شير ، آدي : معجم الألفاظ الفارسية المعربة : 122.

5- كمال عرفات نبهان. البهرست والفهرست. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س19، ع 3 (يوليو 1999) ص 58. وقد اعتمد الدكتور كمال في رأيه على معجم لغت نامة – وهو معجم فارسي فارسي - حيث ذُكر فيه تحت مادة فهرست " فهرست : معرب بهرست البهلوية، جدول يشتمل على أبواب وفصول الكتاب إما في أوله أو في آخره، وقائمة بأسماء الأشياء، وهي كتابة قيل إنها تحوي على أسماء الكتب، **ويطلق عليها العرب (الفهرس)**" فإذا علمنا أنه في اللغة الفارسية نفسها يتم قلب الـ پ إلى الـ ف ندرك أن هذا القلب تم في اللغة الفارسية نفسها ولا شأن للعرب فيه، فضلاً عن أن صاحب المعجم نفسه يقر بأن تسمية هذا المصطلح عند العرب هي (الفهرس) وليس الفهرست، ومعنى هذا أن الصيغتين البهرست والفهرست فارسيتان، والفهرس مُعربة. انظر علي أكبر دهخدا: لغت نامة : ج 37 ، ص 346.

obeikandi.com

فور" [1] ومنها حذف حرف من أول الكلمة أو من وسطها أو من آخرها [2]. مثل مارستان في بيمارستان وهزار في هزاردستان، أي لم يكن هناك داع لمرحلة وسطى، ناهيك عن أن أقدم لفظ تم العثور عليه – حسب المراجع المتاحة – هو لفظ (فِهْرِس) ويعود للنصف الثاني من القرن الثاني الهجري زمن تغلل الثقافة الفارسية [3] .

وقامت طائفة من اللغويين بتخطئة من استعمل (فِهْرِسَة الكتب) بكسر الفاء وفتح السين واستخدام تاء التأنيث أو الوقوف عليها بالهاء، وأقروا أن الصواب هو فِهرِسْت بإسكان السين والتاء فيه أصلية [4]، وهذا كان قبل التعريب [5].

أما بالنسبة لكيفية التعريب فإنهم لما أرادوا إدراج اللفظ في المعاجم اشتقوا من اللفظة (فِهرِسْت) فعلاً على أوزان العربية وهو فَعْلَلَ أي فَهْرَسَ مثل دَحْرَجَ وبالتالي أصبح بالإمكان اشتقاق اسم فاعل (مُفهرِس) واسم مفعول (مُفهرَس) ومصدر (فَهْرسَةً) والأداة (الفِهْرِس) مثل الزِبْرِج [6]، وهذه الصيغة الأخيرة هي التي أثبتت تحت مادة فَهْرَسَ في معجم العين - أول معجم بالعربية - وفي جميع المعاجم اللاحقة عليه.

والثابت حتى الآن أن أول ظهور لهذا اللفظ عند العرب كان في بغداد في العصر العباسي، وقد يعود ذلك لقلة التصانيف وبطء حركة التأليف الممهدة لبروز المصطلح في العصر الأموي ، وتوافر مبرراته في العصر اللاحق، إضافةً لانتشار الثقافة الفارسية بسبب إنشاء منصب الوزارة وإسناده غالباً للفرس، ولانتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد معقلهم منذ دولة الساسانيين " كل هذا جعل العراق أكثر اصطباغاً بالفارسية" [7].

1- السيوطي : المزهر في علم اللغة وأنواعها : ج1: 272. وانظر أيضاً الخفاجي : شفاء الغليل : ص 5 . " فور بلد بساحل بحر الهند، معرب پور" المنشي : رسالة في التعريب **في** رسالتان في المعرب لابن كمال والمنشي : 132، 183.

2- الخفاجي : شفاء الغليل : ص 4 – 5 .

3- الفراهيدي : معجم العين : ج 4 : 121.

4- ابن مكي : تثقيف اللسان : ص 27، الخفاجي : شفاء الغليل : ص 173 – 174.وانظر أيضاً عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس والأثبات : ج1 : 69.

5- الخفاجي : شفاء الغليل : ص 173 – 174.

6- الزِبْرِج : الحلية والزينة من وشي وغيره.

7- أحمد أمين : ضحى الإسلام : ج 1 : 182، 190 ، 192،عمر رضا كحالة. حضارة العرب و الإسلام وتفاعلها مع الحضارات الأخرى **في** وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية : بمناسبة الاحتفالات بحلول القرن الخامس عشر الهجري (من 16 إلى 22 جمادى الآخرة 1401هـ/ من 20 إلى 26 نيسان 1981م) . – دمشق : وزارة التعليم العالي – جامعة دمشق , 1981. – ص 313.

obeikandl.com

والحقيقة أن العربَ عرفوا لفظ الفهرس بمعناه البيليوجرافي المشير إلى فهرس المكتبة، أو القائمة البيليوجرافية منذ الربع الأخير من القرن الثاني الهجري؛ حيث ذكر الخليل الفراهيدي (ت 170هـ/786م) أن الفهرس " هو الكتاب الذي تجمع فيه الكتب" [1]

وهذا التعريف الوظيفي يبين أن تلك الأداة عاشت بينهم وخبروها، فإذا تمَّ قصد القائمة البيليوجرافية - وهو ما يستلزم وجود مُصنفين مُكثرين، أو موضوعات كثر التصنيف فيها وعُمِلَ لها قوائم ببليوجرافة حتى سنة (170 هـ/786م) - فأقدم قائمة من هذا النوع تم رصدها بكتب التراث هي فهرست كتب جابر بن حيان [2] (ت 200 هـ).

وإذا تمَّ قصد فهرس المكتبة؛ فلا بدَّ من توافر مكتبات عظيمة الشأن عاصرها الفراهيدي، ويمثل هذا النوع من المكتبات مكتبة الخلفاء العباسيين المبتدئة بمكتبة أبي جعفر المنصور (ت 158هـ / 774م) الذي أمر محمد بن إسحاق بأن يؤلف لابنه المهدي كتاباً منذ بدء الخليقة حتى أيامه؛ فلما فرغ من تأليفه قال له : لقد أطلت فاختصِرْه؛ فامتثل واختصر الكتاب, ووُضِعَ الكتاب الكبير **بخزانة الخليفة** [3]. وهذه الرواية هي التي دعمها البغدادي أكثر من أن تكون الحادثة وقعت زمن ابنه المهدي وبخزانته. ويؤكد ما ذهب إليه البغدادي ما نقله المسعودي من أن محمد بن إسحاق وضع زمن المنصور كتاب المغازي والسير، وأخبار المبتدأ ولم تكن قبله مجموعة ولا معروفة [4] .

ومما سبق يمكن القول:

- إن حضارات ما بين النهرين عرفت واستخدمت (الفهارس) كأدوات بحث مكتبية منذ عصور ما قبل الميلاد. والمرجح أن هذه الفهارس كانت لها تسمية خاصة بتلك الحضارات لكنها لم تصلنا.

1- الفراهيدي : معجم العين : ج4 : 121.

2- عبد الستار الحلوجي : المخطوطات والتراث العربي : 140. وهذه القائمة هي " أسماء كتبه [أي كتب جابر] في الصنعة، له **فهرست** كبير يحتوى على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها، وله **فهرست** صغير يحتوى على ما ألف في الصنعة فقط" النديم : الفهرست : 421.

3- الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد : ج 1: 236 – 237.

4- المسعودي : مروج الذهب : ج 4: 521.

- وإن الحضارة الهلينية استوعبت ما توصلت إليه حضارات ما بين النهرين في مجال العمل المكتبي وزادت عليه، وفي هذه الحقبة كان الفهرس يُعرف باسم "البينكس"
- وإن العرب خبروا هذه الأداة بالمعنى الببليوجرافي المشير إلى فهرس المكتبة، أو القائمة الببليوجرافية منذ عصر الفراهيدي (ت170هـ/786م).

2/1- صيغ مصطلح الفِهْرس ودلالاتها:

إن البحَّارة الأول في تأصيل مصطلح الفهرس [1] قدموا خدمات جليلةً لهذا التخصص، ووضعوا صوىً للباحثين بعدهم ترشدهم وتقيهم زلات إعادة الاكتشاف؛ ليمخروا عباب نتائج جديدة بقدر ما يميطوا اللثام عن نصوص كانت متحفزة للبعث.

وقد تمّ الاهتداء لمجموعة جيدة من النصوص التراثية تنوعت فيها صيغ المصطلح وتعددت دلالاتها عبر مدة من الزمان امتدت من أواسط القرن الثاني الهجري حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري؛ لتفرز مجموعة إضافية من النتائج، وتعيد النظر في ما سبقها، وذلك يتضح من الجدول رقم (1).

جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
قبل (170هـ)	الفهرس	المشرق	الفهرس: الكتاب الذي تجمع فيه الكتب (2)	فهرس مكتبة، أو قائمة ببليوجرافية
قبل (200هـ)	فهرست	المشرق	أسماء كتبه في الصنعة له فهرست كبير يحتوى على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها، وله فهرست صغير يحتوى على ما ألف في الصنعة فقط [3]	قائمة ببليوجرافية بمؤلفات جابر بن حيان
قبل(204هـ)	فهرست	المشرق	وهذا فهرست كتب الشافعي رضي الله عنه(4)	قائمة ببليوجرافية بكتب الشافعي

1- والدراستان الأوليتان في تأصيل المصطلح هي دراسة كل من أ - سعد محمد الهجرسي. الببليوجرافيا والببليوجرافيات في العالم العربي بين التراث الماضي والتطورات الحديثة **في** قرارات وتوصيات وبحوث مؤتمر الإعداد الببليوجرافي للكتاب العربي (الرياض من 24 نوفمبر 1973 إلى 1 ديسمبر 1973) / المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدار ة التوثيق . الرياض : وزارة المعارف، 1974. ص 404.
ب - كمال عرفات نبهان. البهرست والفهرست. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س19، ع 3 (يوليو 1999) ص ص 46 – 64 . وانظر كمال عرفات نبهان. البينكس والفينكس : دراسة في الجذور اليونانية للمصطلح ودوره في الببليوجرافية العربية. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 20، ع 3 (يوليو 2000). ص ص 5 – 26.

2 - الفراهيدي : معجم العين : ج 4 : 121.

3- النديم : الفهرست : 421.

4- ياقوت الحموي : معجم الأدباء : مج 5 : 216.وانظر النديم: الفهرست : 264.

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
قبل(218هـ)	فهرست	المشرق	عُرض على المأمون كتاب جاويذان خرد ... فدعا بفهرست كتبه [1]	فهرس مكتبة
قبل(245هـ)	فهرست	المشرق	كتاب القبائل الكبير والأيام ... لهذه النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والأيام في طلحي نحو خمس عشرة ورقة [2]	قائمة بمحتويات الكتاب
قبل(255هـ)	فهرست	المشرق	ذكر أبو عثمان [الجاحظ المتوفى 255هـ] في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست (3)	قائمة ببليوجرافية بكتب الجاحظ
قبل(255هـ)	فهرست	المشرق	فضل الكتابة... ولو كلف عامة من يطلب العلم و يصطنع الكتب، ألا يزال حافظاً لفهرست كتبه لأعجزه ذلك، ولكلف شططاً، ولشغله ذلك عن كثير مما هو أولى به [4]	فهرس مكتبته
قبل(260هـ)	فهرست	المشرق	فأعلمتك أن جالينوس قد وضع كتاباً نحا فيه هذا النحو ورسم فيه ذكر كتبه وسماه فينكس وترجمته الفهرست [5]	قائمة ببليوجرافية بمؤلفات جالينوس
قبل(260هـ)	فهرست	المشرق	وإذا رجعنا إلى فهرست كتب جالينوس الذي عمله حنين إلى على بن يحيى [6]	قائمة ببليوجرافية بكتب جالينوس صنعها حنين
(261هـ)	فهرست	المشرق	ولعبدان فهرست يحتوى على ما صنفه من الكتب فمن ذلك [7]	قائمة ببليوجرافية بمؤلفات عبدان
قبل (270هـ)	فهرست	المشرق	قال القاضي أبو عمرو عثمان النابلسي في **كتاب حسن السيرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة** : رأيت كتاباً قدر اثنتي عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذي كان لأحمد بن طولون. قال : فإذا كان اسم الشعراء في اثنتي عشرة كراسة فكم يكون شعرهم **؟!** [8]	قائمة بأسماء الشعراء.

1- أوشهنج . كتاب جاويذان خرد / نقله إلى العربية الحسن بن سهل، وتممه أبو علي أحمد بن محمد مسكويه **في** محمد كرد علي : رسائل البلغاء: 480.
2- النديم : الفهرست : 119. محمد بن حبيب بن أمية (ت 245هـ) وهو صاحب كتاب القبائل والأيام. انظر الزركلي، خير الدين : الأعلام: ج 6 : 78.
3- ياقوت الحموي : معجم الأدباء : مج 4 : 490.
4- الجاحظ : كتاب الحيوان : ج1: 47.
5- حنين بن إسحق : رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى : ص 149. توفي حنين بن اسحق سنة 260هـ.
6- النديم : الفهرست : 348.
7- النديم : الفهرست : 240. كان عبدان حياً في هذه السنة. انظر نفس المرجع : 238.
8- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ج 3 : 140.

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
(283هـ)	فهرست	المشرق	فكان مما أخرج إلينا صناديق كثيرة فيها كتب أحمد بن الطيب التي كان المعتضد قبضها لما نكبه، وكنت بها عارفاً وقد ميزتها للمعتضد في ذلك العصر وعملت لها فهرستاً [1]	فهرس مكتبة
قبل(310هـ)	فهرست	المشرق	فهرست كتب ابن جني [2]	قائمة ببليوجرافية بكتب ابن جني
قبل(313هـ)	فهرست	المشرق	ما صنفه الرازي من الكتب منقول من فهرسته [3]	قائمة ببليوجرافية بمؤلفات الرازي
قبل(313هـ)	فهرست	المشرق	ابن سريج ... إن فهرست كتبه كان يشتمل على أربع مئة مصنف [4]	قائمة ببليوجرافية بمؤلفاته
قبل(364هـ)	فهرست	المشرق	كذا قرأت بخط يحيى بن عدى في فهرست كتبه [5]	قائمة ببليوجرافية بترجماته من السرياني إلى العربي
بين (350-366هـ)	فهرسة وجمعها فهارس	الأندلس	أخبرني تليد الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط [6]	فهرس مكتبة
بين (350-366هـ)	فهرست	الأندلس	وحكى ابن حيان أن عدد الكتب التي كانت فهارس بأسماء الكتب التي اجتمعت في خزائنه [أي للحكم المستنصر] أربعة وأربعون في كل فهرست منها عشرون ورقة. [7]	فهرس مكتبة

1- ابن العديم : بغية الطلب : ج 1 : 42.
2- ياقوت الحموي : معجم الأدباء : مج 3 : 478.
3- النديم : الفهرست : 357.
4- الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج 14 : 202، وانظر أيضاً ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج 1 : 66.
5- النديم : الفهرست : 312.
6- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: 100، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون : ج 4 : 146، وانظر ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة : ج 1 : 190،المقري : نفح الطيب : ج 1 : 385، 394 ، ج 2 : 173، 183، 185.
7- ابن سعيد المغربي : المغرب في حلي المغرب : ج 1 : 186.

obeikandl.com

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
قبل (372هـ)	فهرست وجمعها فهرستات	المشرق	يقول المقدسي في وصف مكتبة عضد الدولة (ت 372هـ/982م) في شيراز " لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب [1]	فهرس مكتبة
(377هـ)	فهرست	المشرق	هذا فهرست كتب جميع الأمم، من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم، وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها، وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم، ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة. [2]	قائمة ببليوجرافية عامة
(383هـ)	فهرست	المشرق	وفي هذه السنة (383هـ) ابتاع أبو نصر سابور ابن أردشير داراً في الكرخ بين السورين وعمرها وبيضها وسماها دار العلم ووقفها على أهله ونقل اليها كتباً كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرستاً. [3]	فهرس مكتبة
(389هـ)	فهرست	المشرق	قال أبو الحسن البيهقي: بيت الكتب الذي بالري، على ذلك دليل، بعدما أحرقه السلطان محمود ابن سبكتكين؛ فإني طالعت هذا البيت فوجدت فهرست تلك الكتب عشرة مجلدات. [4]	فهرس مكتبة
قبل(412هـ)	فهرست	المشرق	محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري ... جمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه حتى بلغت فهرست تصانيفه مائة أو أكثر [5]	قائمة ببليوجرافية

1- أحسن التقاسيم : 449.
2- النديم : الفهرست : 3.
3- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ج 14 : 366. وانظر الصفدي: الوافي بالوفيات : ج 15: 46 وعنده أن البناء كان سنة 381هـ.
4- ياقوت الحموي: معجم الأدباء: مج 2 : 262. قضى محمود بن سبكتكين على الدولة السامانية سنة (389هـ). نفس المرجع : ج 5 : 177.
5- ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان: ج 5: 140، وانظر أيضاً الذهبي : سير أعلام النبلاء: ج 17: 249

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
قبل(428هـ)	فهرست	المشرق	[قال ابن سينا]: دخلت داراً ذات ببيوت كثيرة، وفي كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض، في بيت كتب العربية والشعر، وفي آخر الفقه، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد، وطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه (1)	فهرس مكتبة
قبل(430هـ)	فهرست	المشرق	وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر، رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز (2)	قائمة ببليوجرافية بمؤلفات البيروني.
(435)	فهرست	المشرق	قال ابن السنبدي: كان الوزير أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي تقدم في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة قبل وفاته باعتبار خزانة الكتب بالقاهرة وأن يعمل لها فهرست (3)	فهرس مكتبة
قبل(460هـ)	فهرسة	المشرق	رأيت له [أي لأبي جعفر الطوسي] مؤلفاً في فهرسة كتبهم وأسماء مؤلفيها(4)	قائمة ببليوجرافية
قبل(462هـ)	فهرست	الأندلس	من المحتفين بالعلم والطب بقراط سيد الطبيعيين من علماء علوم الطبيعة وعلوم البرهان وقد ضم جالينوس أسماء تآليفه إلى فهرست يشتمل على أوراق وذكر مرتبة قراءتها ونبه على طريق تعلمها وهي مائة ونيف (5)	قائمة ببليوجرافية بمؤلفات بقراط وضعها جالينوس
قبل(501هـ)	فهرسة، فهرست	الأندلس	يقولون: فِهرسةَ الكتب، يجعلون التاء للتأنيث، ويقفون عليه بالهاء، قال الشيخ أبو بكر : الصواب: فهرست بإسكان السين والتاء فيه أصلية. قال : ومعنى الفهرست : جملة العدد، لفظة فارسية (6)	فهرس مكتبة، وقائمة ببليوجرافية.

1- القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء : 271. وانظر أيضا ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج3 : 6

2- ياقوت الحموي : معجم الأدباء : مج 5 : 126.

3- القفطي : المرجع السابق : 286.

4- الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج 18 : 335.

5- صاعد الأندلسي : طبقات الأمم : 27 - 28. صاعد الأندلسي (ت 462 هـ).

6- ابن مكي : تثقيف اللسان : 27 – 28 .

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
قبل (542هـ)	فهرست	المشرق	{خلاصة الفتاوى} للشيخ الإمام طاهر ابن أحمد بن عبد الرشيد البخاري إذ عندما "سأله بعض إخوانه تلخيص نسخة قصيرة يمكن ضبطها؛ فكتب هذه الخلاصة جامعة للرواية خالية من الزوائد مع بيان مواضع المسائل، وكتب فهرست الفصول والأجناس على رأس كل كتاب ليكون عوناً لمن ابتلي بالفتوى " [1]	قائمة بمحتويات الكتاب
قبل(559هـ)	فهرسة	الأندلس	ابن البراذعي وكان مقرئاً وله فهرسة منها نقلت أسماء رجاله [2]	مشيخة
(566هـ)	فهرست	المشرق	ثم قال ومنهم الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجي سمعت عليه بعض تفسير الثعلبي وأجازني أن أروي عنه جميع ما رواه على اختلاف أنواع الروايات وكتب لي خطه بذلك في فهرست سماعي مؤرخاً بخامس جمادى الأولى سنة ست وستين وخمسمائة [3]	مشيخة
قبل(567هـ)	فُهرِسَ	المشرق	فهرس في قوائم المجاميع المفردة [4]	صُنِفَ
قبل(567هـ)	فُهرِسَ	المشرق	فهرس من النواقص [5]	صُنِفَ
قبل(574هـ)	فهرسة	الأندلس	اللخمي الباجي من أهل أشبيلية .. حدَّث عنه ولداه أبو عبد الله و أبو مروان وسمعا منه فهرسة جدهم [6]	مشيخة

1- حاجي خليفة : كشف الظنون : ج 1: 718.
2- ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة : ج 1 : 62-63.
3- ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج 7 : 85 .
4- جاء هذا النص على ظهرية كتاب "التعليقات والنوادر" الذي كان محفوظاً في خزانة القصر الفاطمي. انظر الهجري، أبو علي زكريا بن هارون : التعليقات والنوادر : مخطوطة دار الكتب المصرية (لغة 342) رقم الميكروفيلم 10457.
5- جاء هذا النص على ظهرية كتاب " الأغاني" الذي كان محفوظاً في خزانة القصر الفاطمي. انظر الأصفهاني، أبو فرج : الأغاني : مخطوطة دار الكتب المصرية (أدب 427) رقم الميكروفيلم 32068.
6- ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة : ج 1 : 71.

obeikandl.com

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
قبل(605هـ)	فهرست	المشرق	محمد بن المبارك بن حشف البغدادي ... قال ابن النجار عمل فهرست يشتمل على أسامي مسموعاته بسندها وطرقها فجاء في ست مجلدات (1)	مشيخة
قبل (614)	فهرسة	الأندلس	ابن واجب ...قرأتُ [أي الذهبي] في فهرسة عليها خط أبي الخطاب بن واجب تلوت" بالتيسير " وقرأته، ولم أقرأ بما فيه من الإدغام الكبير على أبي الحسن بن هذيل، وقرأت عليه " إيجاز البيان " و"التلخيص"(2)	مشيخة
قبل(627هـ)	فهرسة	الأندلس	محمد بن عامر بن فرقد بن خلف بن محمد بن حبيب روى عن جماعة كثيرة جمعهم في فهرسة حافلة (3)	مشيخة
قبل(637هـ)	فهرسة	الأندلس	أحمد بن محمد بن مفرج النباتي من أهل أشبيلية...له فهرسة حافلة أفرد فيها روايته بالأندلس من روايته بالمشرق (4)	مشيخة
قبل(645هـ)	فهرسة	الأندلس	محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري ... له فهرسة مشتملة على أسماء شيوخه (5)	مشيخة
قبل(694هـ)	فهرست	المشرق	خليل بن كيكلدي العلائي ... بلغ عدد شيوخه بالسماع سبعمائة، وجمع فهرست مسموعاته (6)	مشيخة
قبل(711هـ)	فهرس	المشرق	الفِهْرِس: الكتاب الذي تُجْمع فيه الكتُب؛ قال الأَزهري: ليس بعربيّ محض، ولكنه معرّب (7)	فهرس مكتبة، أوقائمة ببليوجرافية، مشيخة.

1- ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان : ج 5 : 357.
2- الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج 22 : 44.
3- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة: ج 2 : 130 .
4- ابن الآبار : المرجع السابق: ج 1 : 107، وانظر أيضاً المقري : نفح الطيب : ج2 : 1070.
5- ابن الآبار : المرجع السابق : ج2: 149-150.
6- ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة : ج 2 : 213.
7- ابن منظور: لسان العرب : ج6: 168.

obeikan.com

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
قبل(718هـ)	فهرس	المشرق	الفِهْرِسُ، بالكسرِ: الكِتابُ الذي تُجْمَعُ فيه الكُتُبُ، مُعَرَّبُ فِهْرِسْت، وقد فَهْرَسَ كتابه (1)	قائمة محتويات الكتاب
قبل (750هـ)	فهرسة	المشرق	أحمد بن محمد الزواوي ... عمل فهرسة مسموعاته ومروياته في مجلدة (2)	مشيخة
قبل (936هـ)	فهرست	المشرق	عبيد الله بن يعقوب ...ملك كتباً كثيرة ... حتى جمع منها ما يناهز تسعة آلاف مجلدة وجعل فهرستها مجلداً مستقلاً (3)	فهرس مكتبة
(960هـ)	فهرس	المشرق	تاريخ آل عثمان - لمصطفى بن جلال التوقيعى المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة وهو المعروف بقوجه نشانجي كتب من أول الوقايع السليمانية إلى حدود سنة ستين، وذكر في أوله فهرساً مشتملا على ثلاثين طبقة وثلثمائة وخمسين درجة كلها في أحوال الدولة العثمانية وأوصافها وسماه طبقات الممالك (4)	قائمة بمحتويات الكتاب
قبل(1001هـ)	فهرس	المشرق	فهرس الكتاب معرب فهرست (5)	قائمة بمحتويات الكتاب

1- الفيروز آبادي : القاموس المحيط : ج2 : 238.
2- ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة : ج 1 : 342.
3- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب : وفيات سنة 936هـ.
4- حاجي خليفة : كشف الظنون : ج 1 : 284.
5- المنشي : رسالة في التعريب **في** رسالتان في المعرب لابن كمال والمنشي : 183.

openkpdi.com

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
(1058هـ)	فهرس	المشرق	تقويم التواريخ - تركي لجامع هذا الكتاب مصطفى بن عبد الله القسطنطيني مولدا ومنشأ الشهير بحاجى خليفه وهو مشتمل على نتيجة كتب التواريخ سودته في شهرين من شهور سنة ثمان وخمسين وألف ذكرت فيه التواريخ المستعملة ثم الوقائع مجدولا وجعلته نسختين نسخة في ثلاثة كراريس كل صحيفة منها خمسون سنة ونسخة في نحو عشر كراريس كل صحيفة منها عشر سنين فصار كالفهرس لكتب التواريخ ولفذلكتى خاصة (1)	قائمة بكتب التاريخ
قبل (1067)	فهرس	المشرق	الفهرس في **القاموس** بالكسر الكتاب الذي يجمع فيه الكتب معرب فهرست. وفى **التهذيب** زيادة الأسامي حيث قال يجمع فيه أسامي الكتب. قال ابن منظور هو معرب دخيل وزنه فعلل. وفى **بحر الغرائب** هو القانون والضابطة الإجمالية التي تكتب في أوائل الكتب حتى يعلم فيها أنها كم بابا وقد يطلق على أول الكتاب. وفى **ديوان الأدب** مقسم الماء على وزن فعلل يونانية فعربوه واستعملوه في مجمع الأبواب. والتاء فيه غلط فاحش. (2)	فهرس مكتبة، أوقائمة ببليوجرافية، أومشيخة، أوقائمة محتويات الكتاب.
قبل (1069هـ)	فهرس، فهرست	المشرق	فهرست، في القاموس الفهرس الكتاب الذي يجمع فيه الكتب معرب فهرست ... أقول مافي القاموس هو من كلام الليث وتحريره أن هذه اللفظة فارسية وفارسيتها بكسر الفاء وسكون الهاء وكسر الراء المهملة تليها سين ساكنة مهملة ثم مثناة فوقية ساكنة ومعناها إجمال الأشياء لتعديد أسمائها وحصرها مطلقاً على الترتيب ثم إنهم عربوه فقالوا فهرس يفهرس فهرسة كدحرج؛ فتخطئة الزركشي ليست في محلها فإن ما قالوه بيان للفظ بعد التعريب، وما قاله ابن مكي بيان له قبله... ثم إنه ليس بمعنى الفذلكة فإن معناها إجمال عدد فصَلّه قبله (3)	فهرس مكتبة، أوقائمة ببليوجرافية، أومشيخة، أوقائمة محتويات الكتاب، أو ورقة حساب (جرد) للأشياء.

1- حاجي خليفة : كشف الظنون : ج 1 : 469.
2- المرجع السابق : ج 2 : 1303.
3- الخفاجي : شفاء الغليل : 173 – 174 .

openkandi.com

تابع جدول رقم (1) صيغ مصطلح الفِهْرِس ودلالاتها

السنة الهجرية	الصيغة	المكان	النص	الدلالة
قبل(1205)	فهرس فهرست فهرسة فهارس	المشرق	الفهرس، بالكسر، أهمله الجوهري، وقال الليث: هو الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، قال: وليس بعربي محض، ولكنه معرب، وقال غيره: هو معرب فهرست. وقد اشتقوا منه الفعل فقالوا: فهرس كتابه فهرسة، وجمع الفهرسة فهارس. (1)	فهرس مكتبة، أو قائمة ببليوجرافية، أو قائمة المحتويات

ومن الجدول يمكن الخروج بما يلي :

- أن لفظ **الفِهْرِس** هو أول وأقدم صيغة ببليوجرافية في كتب التراث حتى الآن.

- أنه لم يظهر إلا في المعاجم اللغوية، وكتب المعرب والدخيل – أي لم يستخدمه إلا اللغويون – وذلك بسبب أنه الصيغة المُعربة الصحيحة، ولاحقاً التزمه حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون" إذ اعتبر أن التاء فيه زائدة وغلط فاحش، و يعود ذلك لما أثبته اللغويون.

- أنه دلَّ بداية حسب تعريف الفراهيدي (ت 170هـ/786م) على فهرس المكتبة، أو القائمة الببليوجرافية، ومع الخفاجي (ت 1069هـ/1659م) طرق باب جميع الأشكال الببليوجرافية، وتعداها لغيرها، والخفاجي هذا جرد المصطلح من معنى الفذلكة (2) .

- أن لفظ **الفهرست** هو الصيغة الأوسع انتشاراً في كتب التراث رغم فارسيتها، وقد يعود ذلك لبداية ظهور المصطلح حيث كانت الثقافة الفارسية هي المسيطرة؛ فدرجت على الألسن وأقلام المصنفين، واللاحق منهم أخذ من سابقه دون تبصر.

- أنه كان اللفظ الأوسع في الدلالة؛ فقد استخدم للتعبير عن :

أ – القائمة الببليوجرافية ← العامة
الخاصة بترجمات مؤلف معين
الخاصة بمؤلفات شخص معين
الخاصة بموضوع معين

1- الزبيدي : تاج العروس : ج 16 : 349.

2 -" الفذالك جمع فذلكة وهي جملة الحساب لقولهم فيها فذلك كذا ". الخفاجي : شفاء الغليل : 174، وانظر الزبيدي : تاج العروس: ج 27: 293.

ب – فهرس المكتبة

ج – قائمة المحتويات

د – قائمة الجرد

هـ - القائمة البيوجرافية

و - القائمة البيو ببليوجرافية

ز - المشيخة. [1]

- أنه كان مرتبطاً بالشرق وبالمشارقة وربما يعود ذلك لقربه من منبته الفارسي.

- أن لفظ **الفِهْرِسَة** ارتبط بالأندلس وأهله، وهو تحريف خاطئ لـ (فِهرِسْت) ويستنتج ذلك من سرد النصوص التالية:

أ- قال السجلماسي (ت 1175هـ/1761م) - وهو من سجلماسة من بلاد الأندلس - عند حديثه عن أوزان الاسم الرباعي العجمي " ومتى شبه بزِبْرِج فمراده كسر الأول والثالث وسكون الثاني، وكذلك إذا أطلق الكسر لأنه إذا كسر الأول امتنع ضم الثالث لأنه وزن مهمل، وامتنع فتحه إلا في دِرْهَم وألفاظ محصورة كما يأتي إن شاء الله؛ فوجب إذا أطلق الكسر أن يُحمل على كسر الأول والثالث كقوله الجِهْبِذ بالكسر وقوله الزِبْرِج بالكسر وبهذا تعلم أن **الفِهْرِسة** مكسورة الأول والثالث " [2] .

ب- ذكر ابن مكي، عمر بن خلف الصقلي النحوي (501 هـ/ 1108م) في حديثه عن الأخطاء الشائعة " يقولون: **فِهْرِسة** الكتب، يجعلون التاء للتأنيث، ويقفون عليه بالهاء، قال الشيخ أبو بكر : الصواب: فِهرِسْت بإسكان السين والتاء فيه أصلية. قال : ومعنى الفهرست : جملة العدد، لفظة فارسية" [3].

---

1 - لكن الدكتور سعد محمد الهجرسي قصره على القائمة الببليوجرافية، و قائمة المحتويات، و كشاف الكتاب؛ إذ قال " وقد درج العلماء العرب في الماضي على استعمالها [صيغ (فهرست، فهرسة، فهرس)] في واحد من معنيين: قائمة بأسماء الكتب، أو بيان مختصر بأبواب الكتاب وفصوله. وقد بقي هذان المعنيان حتى الآن وأضيف إليهما معنى ثالث وهو : ترتيب كل المحتويات الدقيقة للكتاب أو فئة معينة منها ترتيباً هجائيا مقرونة بما يحدد أمكنتها على صفحات الكتاب" سعد محمد الهجرسي: الببليوجرافيا والببليوجرافيات : 404.

2- السجلماسي : إضاءة الأدموس : (9 / أ).

3- ابن مكي : تثقيف اللسان : 27 – 28 .

ت- أورد الخفاجي تعليقاً على ابن مكي مفاده: إن ما قاله ابن مكي عن صواب لفظ الفِهرِسْت هو بيان للفظ قبل التعريب، أي قبل تعريبه من فِهرِسْت إلى فِهْرِس([1]).

ومما سبق يُستخلص :

1- أن المصطلح عند الأندلسيين والمغاربة هو (فِهْرِسَة) وليس المصدر (فَهْرَسَة)(2).

2- أن صيغة (فِهْرِسَة) خطأ شائع.

3- أن الصواب هو فِهْرِس بعد التعريب.

- أن لفظ **الفِهْرِسة** دلَّ على فهرس المكتبة ، وكتب المشيخات فقط ، وهذا يشير إلى أن أهل الأندلس لم يعرفوا من الأشكال الببليوجرافية سوى هذين الشكلين، وأن أهل المشرق كانوا متقدمين عليهم في هذا المجال.

- أن الفعل **فُهرِسَ** المبني للمجهول استخدم استخداماً خاصاً في الحديث عن مكتبة القصر الفاطمي بمعنى صُنِفَ . وفي الحديث عن مكتبة المدرسة المحمودية بالقاهرة بمعنى جُرِدَ أو أُحصي.

وهذا يعني أن المصطلح فِهْرِس دلَّ على أكثر من شكل ببليوجرافي، وأن الفعل فَهْرِسَ دلَّ على أكثر من عملية فنية في المكتبات لم يميز بينها سوى السياق.

3/1- بين الفـهْرس، والثَّبَت ، والفينكس:

حصدت حركة الانفتاح العلمي للأمة العربية الإسلامية في طور فتوتها جلَّ ما تفتقت عنه قرائح الأمم السابقة عليها في هذا المضمار؛ فجنت بالمعية مصطلحات علمية تنوعت بتنوع مصادرها الموضوعية، واللغوية؛ فسارعت إلى تبنيها بعد إتمام الإجراءات الشرعية الخاصة عبر نقحرتها، أو تعريبها، أو ترجمتها باستخدام مصطلحات عربية صرفة.

---

1 – الخفاجي : شفاء الغليل : 174.

2- وهذا خلاف ما ورد عند الدكتور كمال عرفات نبهان. البهرست والفهرست. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س19، ع 3 (يوليو 1999). ص 59. أما معالجة الدكتور سعد محمد الهجرسي لهذه الفكرة فكانت بشكل مختصر جداً دون تحليل فقال" (فهرست، فهرسة، فهرس) كلمة فارسية عربت منذ عشرة قرون أو يزيد، وقد استعملها النديم والطوسي في شرق العالم الإسلامي بالتاء المفتوحة، واستعملها محمد بن خير الإشبيلي وغيره في غرب العالم العربي بالتاء المربوطة". سعد محمد الهجرسي: الببليوجرافيا والببليوجرافيات : 404

وكـان مجـال العمـل الببليـوجرافي أحـد المسـارب لـدخول مصـطلحات جديـدة إلـى العربيـة، منهـا (الفـِهْرِس) المُعرب عن الفارسية، ومنهـا البينكس [المنقحـر]، أوالفينكس [المُعرب] اليوناني، إضافة إلى أن العربية جادت بمصطلح من ذاتها وهو (الثَّبَت).

والبينكس Pinax : هو قائمـة، أو فهرس للمؤلفين أو عنـاوين الكتب، وضـعه كاليمـاخوس لمكتبـة الإسـكندرية (1)، ثـم عُربـت الكلمـة علـى شـكل فينكس، واسـتخدمها ثلاثـة مـن الببليوجرافيين العرب، أولهم حنين بن اسحق العبادي (ت 260هـ) الذي طلب منه علي بن يحيى المنجم (ت 275هـ) أن يصف لـه أمر كتب جالينوس من حيث عددها، وعناوينها، والغرض من تأليف كل واحد منها، وكم مقالة في كل واحد؛ فأعلمه حنين " أن جالينوس قد وضع كتاباً نحا فيه هذا النحو ورسم فيه ذكر كتبه وسمَّاه فينكس وترجمته الفهرست" (2).
ولما شرع حنين بسرد كتب جالينوس ابتدأ بـ " الكتاب الذي سماه جالينوس فينكس وأثبت فيه ذكر كتبه " (3) .

وثانيهم النديم (كان حياً سنة 377هـ) الذي اعتمد في حديثه عن قلم الساميا على مـا " ذكره جالينوس في فينكس كتبه - ومعنى هذه اللفظة ثبت الكتب " (4).
وثالثهم ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ) الذي وضع ترجمة مطولة لجالينوس، استند فيها على ما قاله الرجل " في فينكس كتبه "(5)، من أنـه عـاد إلـى بـلاده مـن رومية فـي عمـر السـابعة والثلاثين. وأشار إلى أن جالينوس ذكر " في فينكس كتبه أنه صنف مقـالتين، وصـف فيهمـا سيرته"(6).
ومن ثم انتقل ابن أبي أصيبعة للحديث عن كتب جـالينوس وكـان مـن جملتهـا تفسير كتـاب تدبير الأمراض الحادة لأبقراط فقال: " قال جالينوس في فينكس كتبه إنـه فسره فـي خمس

---

1 - Liddell, H. G, Scott, R. A Greek - English lexicon . comp. Oxford: The Clarendon Prees, 1968 . p. 1404. نقلا عن كمال عرفات نبهان. البينكس والفينكس. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س20، ع 3 (يوليو 2000) ص 12.
2- حنين بن اسحق : رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى: 149.
3- المرجع السابق : 150.
4- النديم : الفهرست : 18. وهذا خلاف ما ذكره الدكتور كمال عرفات نبهان أن النديم لم يستخدم كلمة بينكس أو فينكس إطلاقاً. انظر كمال عرفات نبهان. البينكس والفينكس. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 20، ع 3 (يوليو 2000) ص 18.
5- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء: ج 1: 128.
6- المرجع السابق : ج 1: 129.

obeikandi.com

مقالات"[1]. وفي نهاية ترجمته أحال المستزيدين إلى ما " ذكره جالينوس في فهرست كتبه المسمى فينكس"[2].

لكن ابن أبي أصيبعة تفرد عن حنين بن اسحق، وعن النديم باستخدامه لفظ بينكس في موضعين، الأول عند تحديده للعصر الذي عاش فيه جالينوس معتمداً على " قول جالينوس في الكتاب الذي وضعه في تقييد أسماء كتبه ويعرف ببنكس جالينوس" [3]. والثاني عند حديثه عن مصنفات جالينوس وكان أولها "كتاب بينكس وهو الفهرست، وغرضه في هذا الكتاب أن يصف الكتب التي وضعها، وما غرضه في كل واحد منها ومن دعاه إلى وضعه " [4].

ومن هذه النصوص يمكن استنتاج ما يلي:

- أن مصطلح (البينكس) ورد بصيغتين هما (البينكس، والفينكس) أما البينكس فهو نقحرة المصطلح اليوناني Pinax ، و أما الفينكس فهو تعريب الكلمة جرياً على عادة العرب في التعريب.
- أن ابن أبي أصيبعة هو الوحيد الذي أثبت الصيغة (بينكس) رغم أنه نقل جلَّ معلوماته عن حنين بن اسحق وهذا الأخير لم يستخدم سوى صيغة فينكس؛ فكيف يكون ذاك؟ المرجح أن ابن أبي أصيبعة عندما أشار إلى مؤلفات جالينوس قد فعل مايلي :

" 1 – إما أنه استخدم أكثر من مخطوط لرسالة حنين بن اسحق و أن بعضها وردت فيه صيغة بينكس.

2 – و إما أن ابن أبي أصيبعة عندما تحدث عن جالينوس ومؤلفاته كانت لديه مصادر أخرى إلى جانب رسالة حنين" (5).

- أن دلالة مصطلح (الفينكس) اقتصرت في كتب التراث العربي على معنى القائمة الببليوجرافية بمؤلفات الطبيب اليوناني (جالينوس) فقط ولم تتجاوزها، ولم تذكر في غير السياق المتحدث عن جالينوس.

1- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء: ج 1: 149.
2- المرجع السابق : ج 1: 154.
3- المرجع السابق :: ج 1: 112.
4 - المرجع السابق : ج 1: 136.
5- كمال عرفات نبهان. البينكس والفينكس. مجلة المكتبات والمعلومات العربية. س 20، ع 3 (يوليو 2000) ص 19.

obeikandl.com

- أن البليوجرافيين العرب الثلاثة الوحيدين الذين استخدموا المصطلح – حنين بن اسحق، والنديم، وابن أبي أصيبعة – لم يستخدموه كمصطلح ببليوجرافي في أعمالهم الببليوجرافية بقدر ما استخدموه كلفظ توثيقي بحت، ولما أدى مهمته عادوا إلى مصطلحهم الببليوجرافي المتعارف عليه (الفهرست)، وبالتالي لا يمكن القول: إن منافسةً نشأت بين المصطلحين (الفهرست الفارسي، والبينكس اليوناني) لأن دورة حياة الأخير بدأت وانتهت في حيز ضيق جداً لم يتجاوز ثلاثة ببليوجرافيين، وبغرضٍ توثيقي فقط.

أمَّا **الثَّبَت** فلغة هو: الحُجَّةُ و البينة (1)، و اصطلاحاً " الفِهْرِس الذي يجمع فيه المُحَدِّثُ مروياته وأشياخه، كأنه أخذ من الحُجَة؛ لأن أسانيده وشيوخه حجة له، وقد ذكره كثير من المحدثين. وقيل: إنه من اصطلاحات المحدثين" (2).

والجدول رقم (2) يوضح زمن استخدامه كمصطلح ببليوجرافي، ودلالاته، كما يبوح بمجموعة من النتائج تُذكر بعد السرد.

جدول رقم (2) مصطلح الثَبَت العربي ودلالاته

السنة الهجرية	النص	الدلالة
قبل(260هـ)	ذكرت أكرمك الله الحاجة إلى كتاب يُجمع فيه **ثَبَت** ما يحتاج إليه من كتب القدماء في الطب وتبيين الغرض في كل واحد منها (3)	قائمة ببليوجرافية
قبل(283هـ)	أن عبيد الله بن سليمان ... عمل **ثبتاً** يحتوي على جميع ماله من عين وورق وضيعة وقماش وعقار ودار ودابة وبغل وغلام ومركب (4)	قائمة جرد بالممتلكات

1- الزبيدي : تاج العروس : ج 4 : 476.
2- المرجع السابق : ج 4 : 477.
3- حنين بن اسحق : رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى : 149.
4- ابن العديم : بغية الطلب : ج 2 : 842. هذا النص أتى في سياق الحديث عن أسباب نكبة أحمد بن الطيب (ت283هـ).

obeikandl.com

تابع جدول رقم (2) مصطلح الثَبَت العربي ودلالاته

السنة الهجرية	النص	الدلالة
قبل (348هـ)	أخبار النضر بن شميل... وتوفي سنة أربع ومائتين أو ثلاث... وله من الكتب: كتاب الصفات (وهو) كتاب كبير يحتوى على عدة كتب، ومنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام كتابه غريب المصنف. قرأت بخط أبي الحسن بن الكوفى **ثبت** كتاب الصفات على ما قد ذكرته ولم أعول على ما (قد) رأيته. قال ابن الكوفي: الجزء الأول. يحتوى على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النساء. الجزء الثاني. يحتوى على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشعاب والأمتعة. الجزء الثالث. يحتوى على الإبل فقط... (1)	قائمة محتويات الكتاب
قبل(377هـ)	**ثَبَت** الستة العشرة الكتب التى يقرأها المتطببون على الولاء (2)	قائمة ببليوجرافية
قبل(377هـ)	وقد ذكره جالينوس في فينكس كتبه ومعنى هذه اللفظة **ثَبَت** الكتب (3)	قائمة ببليوجرافية
385 هـ	حدثني عرف بن الحسين الهمذاني التميمي قال: كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب، فرأيت في **ثَبَت** الحسبانات لكاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم الخز، التي صارت فى تلك الشتوة، في خلع العلويين والفقهاء والشعراء، سوى ما صار فيها في خلع الخدم والحاشية، ثمانمائة وعشرين (4)	قائمة جرد بالممتلكات
489 هـ	قال ابن الأنماطي: أخرج إلينا شيخنا حماد الحراني بخطه وحدثني قال: رأيت على ظهر الجزء الثاني من حديث الزعفراني **ثَبَت** كتب سمعها عبد الله بن غدير السعدي (5)	مشيخة
501 هـ	قال ابن مكي في كتابه تثقيف اللسان : وجعلته خمسين باباً هذا **ثَبَتها** ... (6)	قائمة محتويات الكتاب

1- النديم : الفهرست : 57. علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي، المعروف بابن الكوفي: نحوي، أديب، من أهل الكوفة (ت 348 هـ). انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام : ج 4 : 325.
2- النديم : الفهرست : 348 وانظر أيضاً القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء : 90.
3- النديم : الفهرست : 18.
4- ياقوت الحموي : معجم الأدباء : مج 2 : 267.
5- الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج 20 : 437.
6- ابن مكي : تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : 18.

obeikandl.com

تابع جدول رقم (2) مصطلح الثَبَت العربي ودلالاته

السنة الهجرية	النص	الدلالة
597 هـ	ولقد نظرت في **ثَبَت** الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد (1)	فهرس مكتبة
668هـ	مقالة في **ثَبَت** الكتب التي لم يذكرها جالينوس في فهرست كتبه (2)	قائمة ببليوجرافية
739هـ	الشيخ علم الدين البرزالي ... حصَّل كتبا جيدة وأجزاءً في أربع خزائن وبلغ **ثبته** أربعاً وعشرين مجلداً وأثبت فيه من كان يسمع معه (3)	مشيخة
806 هـ	ابراهيم بن محمد بن صديق المعروف بالرسام (ت806هـ) رحل إلى حلب ومعه **ثَبَت** مسموعاته فأكثروا عنه وانتفعوا به (4)	مشيخة
1205 هـ	و**الثَبَت** ، محركة: الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه، كأنه أخذ من الحجة؛ لأن أسانيده وشيوخه حجة له، وقد ذكره كثير من المحدثين. وقيل: إنه من اصطلاحات المحدثين (5)	مشيخة
القرن الرابع عشر الهجري	وأما **الثبت** فأول من رأيته تكلم عليه من الحفاظ السخاوي [ت 902 هـ] في شرحه على الألفية لدى كلامه على ألفاظ التعديل قال: والثبت بسكون الموحدة الثابت القلب واللسان والكتاب والحجة وأما بالفتح فما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره (6)	مشيخة

ومن الجدول رقم (2) يتضح مايلي:

- أن لفظ **الثَبَت** عربي فصيح يعود استخدامه كمصطلح ببليوجرافي إلى القرن الثالث الهجري وليس إلى السخاوي في القرن التاسع الهجري كما نوَّه الكتاني .
- أن اللفظ حمل أكثر من دلالة ببليوجرافية مثل قائمة محتويات الكتاب، والقائمة الببليوجرافية بمؤلفات شخص معين، وفهرس المكتبة، والمشيخة وهذا الأخير كان الأوسع انتشاراً ويعود ذلك لاستخدام المحدثين له بمعنى الحجة، أي أن هذا

1- ابن الجوزي : صيد الخاطر : 449.
2- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء : ج 2 : 162.
3- الصفدي : الوافي بالوفيات : ج 24 : 120.
4- ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب : ج 4 : 55.
5- الزبيدي : تاج العروس : ج 4 : 477.
6- عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس : ج 1 : 68.

obeikandl.com

الثَبَت بمثابة شهادة لصاحبه بأهليته في العلوم التي دَرسها ويُدرسها، فهم بالتالي أقعدوا المصطلح عن ميادين ببليوجرافية عدة كانت بدايته معها، وحولوا مجراه إلى قناة واحدة هي المشيخة.

- أن اللفظ اختص به المشارقة بإشارتهم للمشيخة – إضافة لمصطلح الفهرست – بينما أهل الأندلس استعملوا مصطلح (الفهرسة) يقول عبد الحي الكتاني " اعلم أنه بعد التتبع والتروي ظهر أن الأوائل كانوا يطلقون لفظة المشيخة على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك المعجم، لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات. وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون البرنامج. أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون إلى الآن الثبت وأهل المغرب إلى الآن يسمونه الفهرسة" (1). ومع ذلك وردت أمثلة عن المغاربة وأهل الأندلس بيَّنت استخدامهم للمصطلح مثل ابن مكي في كتابه تثقيف اللسان حيث قال: "وجعلته خمسين باباً، هذا ثَبَتها" ([2])، لكن ذلك لم يمثل ظاهرة.
- أن اللفظ حمل دلالات غير ببليوجرافية وهي سجل الحسابات، وقائمة جرد الممتلكات، وهو في هذا التوجه يشبه بعض دلالات الفهرس حيث قال الخوارزمي في تعريفه للفهرس: "هو كتاب ودفاتر تذكر فيه الأعمال ويكون في الديوان **وقد يكتب فيه أسماء الأشياء**" (3) .

و يمكن أن نستنتج من كل ما قيل عن الفِهْرِس، والثَّبَت ، والفينكس مايلي :

- أن المصطلحات الثلاث تساوت في الدلالة على القائمة الببليوجرافية التي تخص مؤلفات شخص معين .
- وأن مصطلحي الفهرس، والثَبَت كانا صنوين في الدلالة الببليوجرافية، إلا أن الثَّبَت في نهاية المطاف هجر العديد من دلالاته والتزم بالمشيخة ليخلي الساحة للفهرس.

والنتيجة التي يُخرج بها من كل ما تقدم هي أن المصطلحات الثلاث تسابقت فيما بينها ليسقط الأضعف، ويتنحى عن مرابض دلالية كثيرة ليبقَى الأقوى مسيطراً.

1- عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس : ج 1 : 67.
2 - ابن مكي : تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : 18.
3- عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس : ج 1 : 70.

4/1- الملامح الببليوجرافية لفهارس المكتبات عند المسلمين من نهاية القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري.

تشكل فهارس المكتبات - في تلك الفترة - نوعاً خاصاً من المخطوطات؛ فمحتواها العلمي ليس بمستوى مخطوطة في علم الطب، أو التاريخ ... إذ لم يكن لها جمهورٌ دارسٌ يتتبعها كالمشيخات مثلاً، إضافة إلى أنه ليس لها - في الكثير الغالب - مؤلف تُعرف به وتتسابق الأيدي لاقتناء نتاجه، ناهيك عما تعرضت له بعض المكتبات من حرق وتدمير. هذه الأسباب هي التي جعلت التضحية بهذا النوع من المخطوطات كبيرة، وخلَّفَت نُدرةً فيها بحيث لم يصلنا عن القرون الهجرية الستة هذه أيُّ فهرس لأية مكتبة، وإنما بعض النصوص المبعثرة في طيّات الكتب.

وعلى الرغم من شح المادة العلمية في تلك النصوص كماً وكيفاً إلا أنها تبقى أحدَ المفاتيح الأساسية لفك أحجية العمل المكتبي في ذاك الزمن البعيد؛ فما هي المعلومات الببليوجرافية التي صرحت بها النصوص؟ وبالتالي كيف كان يسير العمل في تلك المكتبات؟

تُمسكُ بداية الخيط مع تعريف الخليل الفراهيدي (ت 170هـ/788م) للفهرس بأنه "الكتاب الذي تجمع فيه الكتب" [1] وبهذا التعريف أمران الأول مُصرح به، والثاني مسكوت عنه. أما المصرح به فوجود هذه الأداة عند العرب، وأن **شكل الفهرس** كان **كتاباً**، والمسكوت عنه طريقة ترتيب المواد فيه، والبيانات المذكورة عن كل مفردة. وهناك العديد من الأخبار التراثية التي عرَّجت على ذكر فهارس خزائن كتب محددة فأكدت بداية وجودها، وقدمت ندفاً من المعلومات عن طريقة عملها، وأقدمها ما تعلق ببيت الحكمة العباسي. ويفيد الخبر الخاص بفهرس هذه المكتبة أن **له دوراً أساسياً في العمل التنظيمي للمكتبة** من حيث حصر المجموعات والتعرف على المقتنيات، وأن خللاً اعترى ذاك الفهرس لأن الكتاب المقصود موجود بالمكتبة لكنه لم يُدرج فيه، وتضن القصة بأية معلومات إضافية، ولا سبيل إلى التأويل.

1- الفراهيدي: معجم العين : ج 4 : 121.

obeikandl.com

ويبقى الخبر التراثي الخاص بفهارس المكتبات بهذه النغمة الخافتة المخنوقة، ويوضع كخلفية تتزاحم فوقها الأحداث الرئيسة؛ فيذكر المسعودي أن الخليفة المهتدي محمد ابن هارون الواثق (ت 256هـ/869م) عُرضت عليه يوماً " دفاتر خزائن الكتب، فإذا على ظهر كتاب منها هذه الأبيات قالها المعتز بالله [1] وكتبها بخطه" [2]. وهذا النص لا يُؤخذ منه إلا أن شكل الفهرس كان كتاباً.

وفي القرن الثالث الهجري كان للخليفة المعتضد بالله العباسي (279- 289هـ/892-902م) خزانة كتب ضمت بين جنباتها مقتنيات خزانة أحمد بن الطيب [3] بعد أن نكبه وصادر أملاكه [4]. وفي أحد الأيام كان المعتضد بصحبة ثابت بن سنان فأمره أن يميز معه وبحضرته " ما في الخزائن القديمة للسلطان من الدفاتر، والآلات النجومية وغيرها مما يجري مجراها فما كان يصلح للأميرين أبي جعفر وأبي الفضل أيدهما الله [عزله] لهما على ما رسمه [له] فيما رغب في [اختياره] إياه لهما مما يشاكل سنهما من كتب الفقه، وكتب اللغة، وكتب السير القديمة والقريبة العهد، وأخبار الملوك وأيام الناس، وأخبار الدولة العباسية وأشباه ذلك. قال: فكان فيما أخرج إلينا صناديق كثيرة فيها كتب أحمد بن الطيب التي كان المعتضد قبضها لما نكبه، وكنت بها عارفاً، وقد كنت ميزتها للمعتضد في ذلك العصر وعملت لها فهرستاً" [5].

ويُستنتج من عبارة " فكان فيما أخرج إلينا صناديق كثيرة فيها كتب أحمد بن الطيب" أن هذه الصناديق خاصة بمكتبة أحمد بن الطيب، وأما عبارة " كنت بها عارفاً، وقد كنت ميزتها للمعتضد في ذلك العصر وعملت لها فهرستاً" فيفهم منها أنه كان يتوفر على **صنع الفهارس علماء** من رتبة ثابت بن سنان، وأن مجموعة ابن الطيب كانت معزولة في صناديقها ولم توزع موضوعياً مع باقي مجموعات المكتبة، وطالما كان لها فهرسٌ مستقلٌ؛

1- الخليفة المعتز بالله : هو الزبير بن جعفر المتوكل (ت 255هـ/869م). المسعودي : مروج الذهب : ج 4 : 419.

2- المسعودي : المرجع السابق : ج 4 : 437.

3- أحمد بن الطيب هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي. انظر ترجمته عند النديم: الفهرست : 320 -321.

4- كانت نكبة ابن الطيب السرخسي ومقتله سنة (283هـ/896م). انظر المسعودي : المرجع السابق : ج 4 : 482.

5- ابن العديم : بغية الطلب : ج 1 : 41 – 42.

فهذا يعني **أن الفهرس كان عبارة عن أداة جرد** لا أكثر، بدليل أنه لم يستخدم في عملية اختيار الكتب بل تم الاختيار من الصناديق.

وبالانتقال إلى القرن الرابع الهجري تطالعنا كتب التراث بومضات مهمة تنير الدرب في تحري عمل المكتبات العربية الإسلامية، ولو لمسافة قصيرة. تُستقبل هذه الومضات بداية من محطات في الأندلس؛ إذ أجمعت الكتب الخاصة بتاريخ حكامه على إفراد ترجمة للحكم المستنصر (350- 366 هـ/961- 977م) تناولت فيها الجانب العلمي من شخصيته، وبذله الغالي والنفيس في سبيل جمع الكتب حتى تكونت لديه مكتبة من أعظم خزائن الكتب في الإسلام(1) وصرَّحت بأن لهذه الخزانة فهرساً؛ فيقول ابن حزم "أخبرني تليد الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط " (2). وهذا الخبر يفضي إلى مجموعة من الاستنتاجات منها:

- أن فهرس المكتبة كان مرتباً ترتيباً موضوعياً بحيث خصص لكل موضوع فهرس مستقل.
- أن فهرس الشعر استقل بأربع وأربعين كراسة في كل منها خمسون ورقة أو عشرون ورقة على اختلاف الروايات.
- أن البيانات الببليوجرافية لكل مفردة في هذا الفهرس مازالت طي الكتمان.
- أن وظيفة الفهرس كانت مجرد حصر مقتنيات المكتبة ، أي أنه أداة جرد وليس أداة استرجاع.
- أن هذا الفهرس لا يُلبي احتياجات المستفيدين حول المواد التي لايعرفون عنها سوى عنوانها، أو اسم مؤلفها.

وفي ذات القرن ولكن في المشرق بنى عضد الدولة البويهي (ت 372هـ/982م) داراً بشيراز تألفت من 360 حجرة، وكانت خزانة الكتب فيها تشغل حجرة مستقلة حوت كل ما

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى : ج 1 : 537.

2- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: 100، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون : ج 4 : 146، وانظر ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة : ج 1 : 190، المقري : نفح الطيب : ج 1 : 385، 394 ، ج 2 : 173، 183، 185. ابن سعيد المغربي : المغرب في حلي المغرب : ج 1 : 186، وعند القضاعي عدد صفحات هذا الفهرس "خمسون ورقة" انظر القضاعي : كتاب الحلة السيراء : ج 1: 203.

obeikandi.com

صُنف في العلوم إلى وقته، وكانت هذه الخزانة مفهرسة حسب قول المقدسي " **لكل نوع [موضوع] بيوت، وفهرستات فيها أسامي الكتب** لا يدخلها إلا وجيه " [1] وهذا النص يبين ما يلي:

- أن هذه المكتبة كانت مُصنفة بحيث يشغل كل موضوع خزانة خاصة.
- أنها كانت مفهرسة فهرسة موضوعية وكان لكل موضوع فهرس مستقل ولذا تضخمت أعداد الفهارس.
- أن هناك ربطاً - ولو بدائياً - بين الفهرس وخزائن الكتب؛ فطالما كان لكل خزانة موضوعها وبالتالي فهرسها؛ إذاً يمكن تحديد مكان أولي للكتاب الذي جاء بهذا الفهرس بأية خزانة هو بالمكتبة.
- أن طريقة ترتيب المواد بالفهرس الموضوعي كانت بعناوين الكتب، ولا توجد أية معلومات إضافية عن سياسة الترتيب هذه.
- أن البيانات الببليوجرافية حول كل كتاب سرٌ دُفِن مع فهرس المكتبة.
- أن هذا الفهرس يخدم من يعرف موضوع الكتاب، أو يطلب كتباً في موضوع معين فقط.
- أن روح قائمة الجرد هي التي غلبت على فهرس هذه المكتبة.

وبالتوجه إلى بغداد تطالعنا دار علم سابور بن أردشير التي بناها سنة (383هـ/994م) وزودها بكتب ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرساً [2]، وهذا النزر لا يفضي إلا إلى أن واقف المكتبة هو الذي صنع الفهرس، وأكبر الظن أنه كان إلى قائمة الجرد أقرب منه إلى الفهرس بمعناه الدقيق.

وفي الري كان للوزير إسماعيل بن عباد بن العباس الملقب بالصاحب (ت 385هـ/995م) مكتبةً ضخمة؛ حتى يُذكر أن ملك خراسان نوح بن منصور الساماني بعث خلفه يرغّبُه في الانضمام إليه فكان من بين ما اعتذر به أن عندي " من كتب العلم خاصة، ما يحمل على أربعمائة جمل وأكثر.قال أبو الحسن البيهقي: وأنا أقول: بيت الكتب الذي بالري دليل على

1- المقدسي : أحسن التقاسيم : 449.

2- ابن الجوزي : المنتظم : ج 14 : 366، وانظر أيضاً الصفدي : الوافي بالوفيات : ج 15 : 46.

obeikandi.com

ذلك، بعدما أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين، فإني طالعت هذا البيت، فوجدت فهرست تلك الكتب عشرة مجلدات " [1].

وورود ذكر الفهرس عرضاً فيما سبق يؤكد ضخامة مجموعات هذه المكتبة، وأن هذه الضخامة هي التي فرضت وجود هذه الأداة.

ويمزج المؤرخون والإخباريون مداد أقلامهم بعطر تضوَّع عبيره عند وقفتهم أمام خزائن الكتب الفاطمية خاصة مكتبة القصر لأنها صورة مُشرِّفة للحضارة العربية الإسلامية، وما يهم من أمر هذه المكتبة هو تنظيمها؛ فقد كانت مُصنفة موضوعياً حيث أفرد لكل موضوع خزانة خاصة أو مجموعة خزائن بحسب ما تقتنيه المكتبة [2]، ولكل خزانة باب وقفل ألصق عليه ورقة أدرجت فيها الكتب الموجودة على سبيل قوائم الرفوف.

وقد وصفها ابن الطوير بقوله "هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم، والرفوف مقطعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات، ويسير من المجردات؛ فمنها الفقه على سائر المذاهب، والنحو، واللغة، وكتب الحديث، والتواريخ وسير الملوك، والنجامة والروحانيات، والكيمياء، من كل صنف النسخ، ومنها النواقص التي ما تممت، كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها"[3].

وبالإضافة إلى قوائم الرفوف تمَّ صنع فهرس عام للمكتبة وضعه كلٌ من القاضي أبي عبدالله القضاعي، وابن خلف الوراق بتكليف من الوزير أبي القاسم الجرجرائي [4] سنة (435هـ/1044م). ولا سبيل إلى معرفة بيانات وصف الكتب سواء بالفهرس العام أو بقوائم الرفوف.

1- ياقوت الحموي : معجم الأدباء : مج 2 : 262.

2- " قال العماد وكان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان وهي تباع بأرخص الأثمان وخزائنها في القصر **مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف** ... فأخرجت وهي أكثر من مئة ألف من أماكنها وغربت من مساكنها وخربت أوكارها وأذهبت أنوارها وشتت شملها وبت حبلها **واختلط أدبيها بنجوميها وشرعيها بمنطقيها وطبيبها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها ومجاهيلها بمشاهيرها** " أبو شامة : كتاب الروضتين : ج2 : 444 – 445. بعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على قصر الخلافة سنة 567هـ صادر ما فيه من موجودات، وأعطى الإذن ببيع الكتب؛ فاستمر هذا البيع مدة عشر سنين. انظر المقريزي : اتعاظ الحنفا : ج 3 : 331.

3- المقريزي : الخطط المقريزية : ج 1 : 409.

4- القفطي : إخبار العلماء : 286.

obeikandl.com

ولكن الاكتشاف الحقيقي هو ما أماط اللثام عنه الدكتور أيمن فؤاد سيد، الذي عثر على أربع مخطوطات من بقايا خزانة الفاطميين، وقد أُثبِتَ على كل منها جملة تنظيمية غاية في الأهمية تفصح عن رقي القوم بهذا الميدان. حيث سُجِل على مخطوطة [التعليقات والنوادر] (1) بنسختيها " فـُهرِسَ في [قوائم] المجاميع المفردة" انظر الشكل رقم (1). وجاء على نسخة [حذف من نسب قريش](2) " فـُهرِسَ من [القوائم] في النسب " انظر الشكل رقم (2). وعلى نسخة كتاب [الأغاني] (3) " فـُهرِسَ من النواقص ". وهذا الاكتشاف يضعنا أمام حقائق جديدة منها:

- أن الكتب كانت تخضع لعملية تصنيف؛ فالفعل فُهرسَ أتى بمعنى صُنف وهذا مر سابقاً.
- أن الرأسين "المجاميع"، و"النواقص" ليسا موضوعين تندرج تحتهما الكتب، فقد يكون ديوان شعر أتى ضمن مجموع فيه رسالة عن الإصطرلاب، وأخرى في النحو فيوضعان بنفس الخزانة بالرغم من احتمال إفراد خزائن لكل موضوع من هذه المواضيع، وذات الشيء يُقال عن النواقص وأكبر مثال كتاب الأغاني.

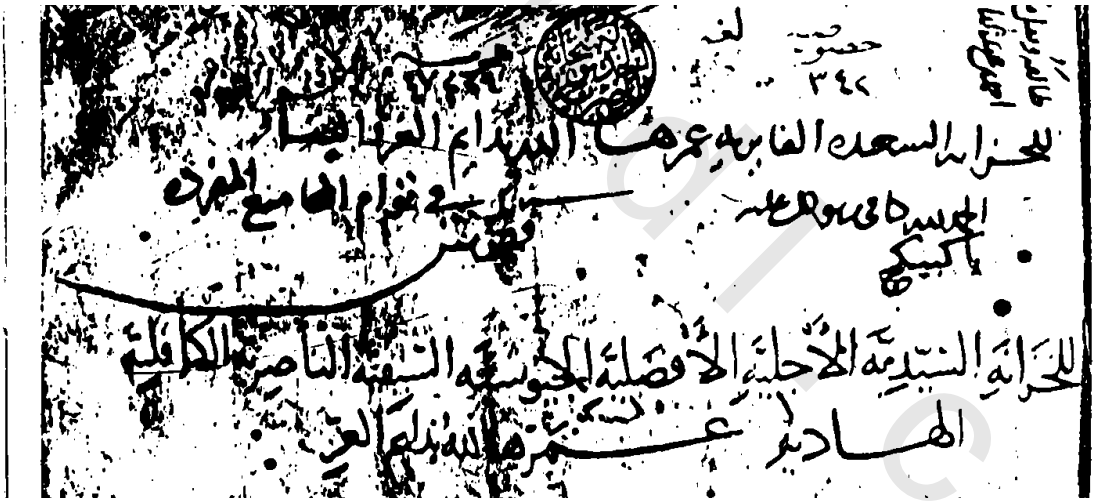

الشكل رقم (1) يمثل جزءاً من غلاف كتاب التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري المحفوظ بدار الكتب المصرية. وفيه تظهر عبارة " فُهرس في قوائم المجاميع المفردة ".

1- للهجري، أبي علي زكريا بن هارون . مخطوطة دار الكتب المصرية (لغة 342) رقم الميكروفيلم 10457، والنسخة الثانية موجودة في الجمعية الملكية الآسيوية بكلكتا بالهند . انظر أيمن فؤاد سيد. خزانة كتب الفاطميين هل بقي منها شيء؟ · — مجلة معهد المخطوطات العربية. مج 42، ج 1 (المحرم 1419هـ/ مايو 1998م) · — ص 27.

2- لمؤرخ بن عمرو السدوسي . مخطوطة الخزانة العامة في الرباط . انظر أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق : ص 28.

3- الأصفهاني . مخطوطة لأبي الفرج دار الكتب المصرية (أدب 427) رقم الميكروفيلم 32068.

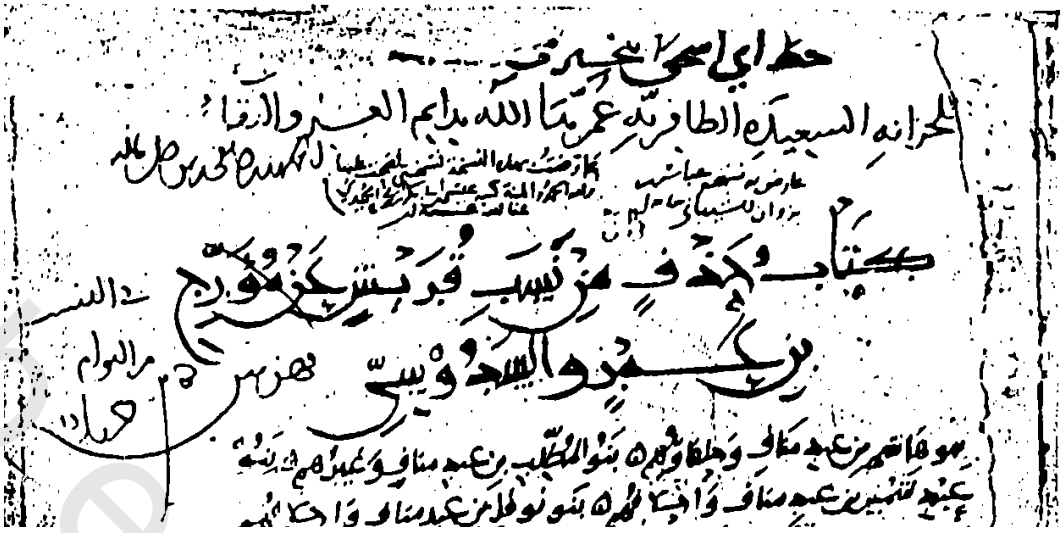

الشكل رقم (2) يمثل جزءاً من غلاف كتاب حذف من نسب قريش المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط. وفيه تظهر عبارة " فُهرس من القوائم في النسب ".

ولما فرَّ مرتضى الدولة [1] من قلعة حلب سنة (406هـ/1015م) خوفاً من صالح بن مرداس، دخل الحلبيون داره وأخذوا منها الذهب، والفضة والأثاث " وأُخذ في جملة ما نُهب له ثمانية وعشرون ألفاً من الدفاتر المجلدة، وكانت **مُفهرسة بخطه في دَرْج** " [2]. وهذا يعني أن فهرس المكتبة وضعه صاحبها مرتضى الدولة، وكان على شكل لفافة ، ولا تخفى صعوبة التعامل مع هذا الشكل في عملية البحث؛ لذا يُرجح أنها كانت أداة جرد فقط .

أما في بخارى [3] أيام ملكها نوح بن منصور الساماني ، فقد اتفق أنه أصيب بمرض؛ فاستعانوا بالشيخ الرئيس ابن سينا (ت 428 هـ/1037م) لمداواته؛ فاستأذن منه ذات يوم بدخول دار كتبه ومطالعة مافيها من كتب الطب، قال " فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض، في بيت منها كتب العربية والشعر،وفي آخر الفقه، وكذلك **في كل بيت كتب علم مفرد؛** فطالعت **فهرست كتب الأوائل** وطلبتُ ما احتجت إليه منها" [4].

ووصف ابن سينا يأخذ بالأيدي لتلمس النتائج التالية:

1- هو أبو نصر منصور بن لؤلؤ ، تولى إمارة حلب سنة 399 هـ/ 1009م. "وكان ظالماً عسوفاً فأبغضه الحلبيون وهجوه هجواً كثيراً". ابن العديم : زبدة الحلب : ج 1 : 177.

2- ابن العديم : المرجع السابق : ج 1 : 187.

3- بخارى من أعمال خراسان "بخارى: بالضم: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ... وفيها قلعة بها مسكن ولاة خراسان من آل سامان". ياقوت الحموي: معجم البلدان : ج 1 : 353.

4- القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء : 271. وانظر أيضا ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج3 : 6.

- أن مكتبة السامانيين كانت مُصنفة بحيث أفرد لكل موضوع بيت خاص.
- أنها كانت مُفهرسة موضوعياً، أي أن هناك ربطاً بدائياً بين الفهرس وخزائن الكتب، مع تكتم على طريقة ترتيب مواد هذا الفهرس تحت الموضوع.
- أن فهرس المكتبة كان تحت تصرف المستفيدين منها، وليس لاستخدام الخَزَنَة فقط.
- أنه حصر جميع مقتنياتها، لكنه ظلَّ محدود الإفادة بالتزامه وجهاً واحداً للترتيب.
- أنه لم يتعدَ قائمة الجرد.

وفي قصة أوردها ابن الجوزي (ت 597هـ/1201م) عن قدماء العلماء وهمتهم العالية في التأليف قال " لقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد " (1) وليس في هذا الوصف إلا أن الثبت استطاع أن يقدم حصراً لمجموع مقتنيات المكتبة على سبيل **قائمة الجرد**.

كما اطلع القفطي (ت 624هـ/1227م) على فهرس مكتبة المدرسة الفاضلية التي أنشأها القاضي الفاضل (ت 596هـ/1200م) بالقاهرة حيث قال: " وقف القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني – رحمه الله – نسخة من هذا الكتاب (2) على مدرسته بالقاهرة المعزية، رأيت ذكره في فهرستها " (3).

وفي إحدى أسفار ياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م) إلى مرو نزل بمكتبة جامعها فاطلع على فهرس كتب البيروني (ت 430هـ/1039م) الموقوفة هناك وقال عنها " أما سائر كتبه في علوم النجوم، والهيئة، والمنطق، والحكمة فإنها تفوق الحصر، رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز" (4). ويُستفاد من ذلك أن هذا الفهرس كان خاصاً بمؤلفات عالم معين هو البيروني، فهو قائمة ببليوجرافية بمؤلفاته، لكن ما هي طريقة ترتيب الكتب هل كانت بالعنوان أم عشوائية ؟ وما هي البيانات الببليوجرافية التي يُقدمها عن كل كتاب؟ كل ذلك يبقى في ساحة المجهول إلا أن الواضح

1- ابن الجوزي : صيد الخاطر : 449.
2- كتاب [الاستغناء] لمحمد أبي بكر بن علي بن أحمد الإدفوي المصري النحوي المفسر (ت 388هـ/998م)
القفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة : ج 3 : 188.
3- القفطي : المرجع السابق : ج 3 : 187.
4- ياقوت الحموي : معجم الأدباء : مج 5 : 126.

obeikandl.com

أن هذه القائمة كانت كتاب وقف، وطبيعة قوائم وقف الكتب جردية – وفي كثير من الأحيان قانونية - أكثر من كونها عملاً علمياً وفنياً، خاصة أن الواقف عندما يكتب كتاب وقفه لا يدري أين مصير كتبه في المكتبة؛ فلا يستطيع تحديد مكان الكتاب سلفاً.

ومجمل القول : إن الفهرسة كانت عملية فنية رئيسة في المكتبات الكبيرة، فبدونها يصعُب الوصول إلى الكتاب، وهذه الصعوبة تزداد كلما زاد حجم المكتبة، بحيث لم تكن الكتب تُضم إلى رصيد المكتبة قبل إخضاعها للفهرسة، وفي بعض الأحيان توفر على عملية الفهرسة علماء أجلاء. أما من حيث أشكال فهارس المكتبات في هذه القرون الستة فقد كانت على شكل كتاب – وهو الأكثر انتشاراً – وعلى شكل درج.

أما وظائف الفهرس فكانت حصر المقتنيات فقط، وتحديد ما تحويه المكتبة من الكتب في موضوع معين.

وأما عناصر الوصف الببليوجرافي فهي من خبايا تلك القرون، ويبقى المثبت الوحيد هو تسجيلهم لعنوان الكتاب، لكن هل كانوا يدرجون العنوان كاملاً أم مختصراً؟ هل استخدموا الجزء الأشهر للعنوان وأحالوا للأصلي؟ أيضاً لا حيلة حتى الآن في الإجابة، وكل ذلك جعل قائمة الجرد هي الصفة الغالبة على فهارس مكتبات تلك الحقبة.

وفي النهاية هذا ما أمكن استخلاصه من قراءة شذرات إخبارية عن فهارس المكتبات العربية والإسلامية في القرون الممتدة من نهاية الثاني الهجري حتى نهاية السابع الهجري، ولكن بعد هذا التاريخ سيجود القدر بنماذج مُكتملة من فهارس المكتبات يمكن إخضاعها للدرس والتحليل للوقوف على وظائفها، وطرق ترتيب المفردات فيها، وعناصر الوصف الببليوجرافي المستخدمة، وهذه ستكون مهمة الفصول اللاحقة.

obeikandl.com